

## جيو كندا مصرية

إنها ليست أول مرة أحاول ، ربما هي ثالث أو رابع مرة ، فأنا أحس كلما أردت كتابتها أن اللغة التي أستعملها أحسن وأصلب وأجوف بكثير من أن تستطيع التعبير عنها ، أحس أن لغتنا ، تلك التي نتحدث بها ونكتب خلقت لتصوير أحداث ضخمة وأحاسيس كبيرة الحجم كالصخر أو حتى إذا صغرت فهي كالرمل أو الحصى في حين أن ما أريد تصويره ناعم موسيقى رقيق دقيق كأنه الذرات العالقة بشعاع الضوء إذا سقط في غرفة مظلمة . لا . ليس حتى كعزف الكمان أو أنين الناي ، إنما هو كاللحن الذي لا تستطيع سماعه إلا إذا خفت الضجة في الدنيا كلها أو سكن الكون تماما ، ثم ظهرت نفسك من كل ما يشغلها من هموم الأرض وأحاسيسها الترابية العابرة ، واستحضرت في ذاك المعالي الحقيقية للرحمة والحب والحنان والإنسان ، المعالي الخالدة السرمدية التي يحيا البشر على أمل

أن ذات يوم تحقق ، حينئذ فقط ، وبعد طول معاناة في نهاية  
النفس ، وطول تأمل وسكون ، متحد نغما رقيقا واهن الضعف قد  
بدأ يتسرب إلى نفسك ، ليس من أذنتك فقط ، وإنما من كل ذاتك  
ولكل ذاتك ، يتسرب النغم تسربا لا يفعل أكثر من أن يجعل ذاتك  
نفسها إلى ذات النغم ، حتى تندمج معه في . وحدة بالغة الشفافية .  
ألى لي بكلمات تستطيع وصف هذا وكلماتنا صنعت لمعان  
محدودة واضحة لا شك فيها ولا احتلال ، ألى لي بكلمات تستطيع  
وصف عشر الانفعال ، والواحد على المائة من الارتجاف أو الخفقة  
الواهمة التي يكاد السمع يتجاوزها ؟

ألى لي بألوان أستطيع بها وصف لون « حنونة » المسيحية ، ذلك  
اللون الذي لا هو أبيض ولا فسحي ، ولا هو أوري ولا شرقي ، لا  
هو صعبدي ولا من أقصى الشمال في بحري ، لون حتى في مكوناته  
زرقه ليست زرقه الموت ولكنها كزرقه المعجر إذا شقشق ، أو زرقه  
البحر إذا هجع وتحولت موجاته إلى نداءات وديعة تسووب إلى  
مستقرها عند الشاطئ عاشقة ساجدة تهب بك أن ترمي بحرا وتعب  
زرقته حتى النهاية .

وكيف لي أن أبدأ القصة وليس في ذهني بداية واضحة ، إن هي

إلا علاقات متصلة بين الناس ومنشأ مشترك ، وطقولة ، ثم صبا ، و  
( شال ) كموني باهت ، وحجرة ليس بها أحد سوانا ، وخيزر  
مقدس ، ثم إنجيل صغير الحجم كثير الصفحات ، مكتوب بلغة  
عربية لها طعمها الخاص .

وكنت في سن البلوغ ، تلك التي تحس فيها أن هناك دنيا هذا  
صحيح ، وهناك صبح وشمس وقمر ، وهناك بلاد بعيدة بعيدة قبل  
البحر المالح وغير المالح وبعد المالح ، ( الظلمات ) بضخامتها السوداء  
الزيتية المهيولة وصورتها المتشد الوقور المستمر ، والماء المجلوب بسحر  
خفى وبكم هائل إلى فتحاتها والماء الهادر الغاضب المتدفع الأرعن  
الخارج عنها ، هناك الغربان والعصافير ، وأولياء الله الصالحون ،  
وهناك المصحف والآيات التي يجب عليك حفظها وكلها عن جنة  
شديدة الجمال غريبة ، وعن نار جحيمية يقشع لها بدلك وثواب  
وعذاب ودنيا وآخرة ، وهناك أيضا وهذا هو المهم المباشر ، خيزرانة  
الشيخ مصطفى المنكفيء العمامة إلى أمام أكثر مما يجب ، دى الأرجل  
الرفيعة المثنية يركب كرؤوس عيدان الكبريت ، حين يضع ساقا  
رفيعة فوق ساق ، ويتدلى حداؤه حائل اللون فاغر الفاه . ويهز لك  
رأسا فوقه تهتز العمامة ويقول : سمع يا ولد . هناك شيء ما هذا

صحيح . شيء لا نراه ولا نحسه ، شيء آخر غير ليلة القدر ،  
والموت ، والحب الشديد الذي أكنه لأني ، شيء بإرادته مختلف لا  
يريد أن يظهر ، ربما خوفا علينا ، إذ ربما لو ظهر لمتنا من شدة الخوف  
والرعب والمواجهة .. شيء آخر غير العقارب ، فالعقارب رغم  
كل شيء فيها ما يضحك ، ولكن هذا الشيء لا يبحث على الضحك  
أهدا . إنه قاس وقور مهيم رحيم .

قلت لحنونة ، وأنا بالضبط لا أعنى ما أقوله :

— أريد أن أكون مثلك ..

كانت لا بد أكبر مني ربما بعام أو بعامين ، فقد كانت أطول وإن  
كانت أضعف ، ولكنها دائما الأعقل والأحكم . وهنا بالضبط  
أعجز عن التعبير . روحها ذلك الإحساس المشع منها وكأنه النور  
يأتي من لا مكان أو بطريقة غير مباشرة ، روحها تلك كانت تغني  
على كلماتها ومشيتها وعلى الطريقة التي ترفع أو تخفض بها يدها أو  
تضم قبضة صغيرة وبأسنانها الأمامية من الحبر المقدس .. مسحة  
غرية البراءة والتقاء والرشاقة تجعلك تعتقد وكأنها ليست من أهل  
الأرض ، وكأنها النوع الثاني من البشر ، ذلك الذي يصنع الحلقة  
الكائنة بينهم وبين الملائكة .

ولا أذكر بماذا أجابتنى .. ولا حتى على وجه الدقة إذا كانت قد  
أجابت ، وماذا أيضا قالت عن الإنجيل ، والخبز المقدس ، و  
( كبير السيون ) ومعتاها كما علمتى ( يارب .. ارحم ) ، فقد  
سمعت القسيس الآتى من المدينة يردد لها فى زفاف ( عفيفة ) حين  
تزوجت منذ شهر . كل ما أذكر ألى من إجاباتها بدأت أحس أن  
هناك أناسا آخرين ، غيرنا نحن أظن أن الدنيا كلها مسلمة ، وأن هذا  
الدين الآخر الجديد مملوء بأشياء تثير الخيال ، وتبعث على حب  
الاستطلاع الشديد ، وخاصة أن هم فى البندر - كما عرفت من  
حنونة - كنيسة ، فيها صورة كبيرة للمسيح ، وفيها شموع وليرات  
بالكهرباء ، وفيها غناء ،

ولم أعد أدري ، أسر تنبى لحنونة - حتى وهى فى طريقها إلى  
النوم - إن هو إلا محاولات أكثر لإدراك أشياء أخرى عن هذا  
الدين ، أم هو استسلام لذلك الإشعاع الذى لا يقاوم الدائم الصلور  
عنها يجذب إليها الناس والأشياء ويحيل كل ما تصنعه إلى حدث يراق  
ممنع رقيق منير .

ولكن ما أعرفه أنه لا أقول بدأت أحس برباط قوى برطنى بها ،  
ولما بدأت فى أحبان أعى ألى لا أتركها وكأنى ظلها ، إحساس كان

لا يراودني إلا في المحطات التي أغادرها فيها . هو أنا معها كنت لا أحس بنفسي ولا بما أفعله أبدا ، فأنا ذائب تماما في ذلك اللقاء المستمر معها ، لا هم لي إلا تأملها ، وتبجع ما تقوله أو تفعله كالمشده بمعجزة خارقة ، دائمة الحدوث ، لا يتفصل عن شعورها بها ولا يبقى إلا أن يظل في حالة الشوة المشدومة تلك لا يتأثرها أو تتأثره لحظة .

ويجبل لي أن متنا كل العالم تنبأ من هنا . فتحن أبدا لا نستطيع الصبر على طواهر الكون أو التفاعل التلقائي للأحداث وعلاقات القوى والنماء وهي تنبأ ونمو وتفرع وتزدهر ، إنما دائما بإرادتنا الحمقاء وقواتيتنا التي ابتدعها أقدمون متزمتون ، دائما نتدخل ، فتفترض سوء النية أو حتى حسبا وتدخل ، وفي تدخلنا نحاول الفرض والكبت والتأكد المستعجل ولوى سنن الحياة .

تري ما إذا كان يضير أن تستمر علاقة كهذه ، زهرة ودبعة وسط غابات الطبايع والنفوس والعلاقات الاجتماعية المشابهة المعقدة التي لا تفري عنها شيئا .

وماذا بهم أنني ابن مهندس الطلعبات ، وأن والد حنونة هو كبير الأسطوانات ، وأنني ولد وأنا بنت ، وأن كلام الناس كثير ، مع أن الناس في ( المستعمرة ) التي نسكنها جميعا قليلون ، كلهم لهم مساكن

أقامتها لهم وزارة الري قريبا من مبنى الطلبات هائل الضخامة ،  
مستعمرة ومجتمعها وطلباتها كانت في مكان ما ، بعيد وسحيق من  
شمال الدلتا . مجتمع صغير مكون من مجموعة صغيرة — وإن كانت  
في ذلك الوقت تبدو لغيتي وكأنها ربع العالم — مسلمون  
ومسيحيون ، ومع هذا فألف مشكلة قائمة ، وألف شركة تؤلم  
بلسعها ووعزها هذه العشرات القليلة من الخلق في ذلك المكان  
الكائن عند آخر الدنيا .

بدأ الأمر بشكاية من أمي لأبي ، وأبي خاضع لأمي منذ قطعت  
ساقه أو التهمت ساقه الطلقات لا أعرف ، فالقصة غالباً لا  
تروى ، إذ هي دائماً تجلب معها الذكرى والألم . وعند أن  
أصبح أبي بساق واحدة أصبحت أمي بثلاث سيقان وعشر أياد ومائة  
لسان .

وهكذا أوقفني الرجل الطيب أبي ذات صباح وأنا ذاهب إلى  
( كتاب ) الشيخ مصطفى وأفهمني بطريقة لا تقبل الجدل أن على  
العودة بعد ( الكتاب ) إلى البيت مباشرة .

لم يشأ الرجل الطيب أن يؤلمني بذكر حقنة وحكايتي معها . أثر  
أن يدع الباقي لغيتي . وأنا أيضاً لم أشأ المناقشة ، فقد اعتزمت ومنذ

اللحظة الأولى أن أخالف هذا القرار ، وأكذب ، وأقابل حتوة .  
وكيف لي أن أستطيع الكف عن شيء لا أفعله بإرادتي ، إنما أجد  
نفسى ، هكذا ، كما أجوع وأعطش وأشرب ، أفعله ، دونما فكر أو  
أرجحه للاحتيالات وأخذ قرار . إنما ونحن أطفال وصية نكون أكثر  
صدقا مع أنفسنا ومع ما نريد ، وما نريده يكون أكثر صدقا مع الحياة  
نفسها ، كل ما فى الأمر أننا صغار فى عالم لا يخضع للحياة وقوانينها  
وإنما ينظمه ويقننه ويحكمه الكبار ، ولا بد دائما أن يتدخلوا ، فإذا  
فعلوا فإنما ليجرونا ، لا لنسحق ، وإنما لتراوغ ونكذب ونكرهم كما  
نكره العقاب .

ولا أعرف ماذا بالضبط ، وبالمقابل ، حدث لحوة .  
ولكنى فى مكاننا المعتاد عند ( الهدار ) وهى البئر العميقة التى  
نصب فيها كل المياه القادمة من المصارف الكبرى ، وتأخذ عنه أفواه  
الطلسميات الماء لترفعه بعد هذا إلى أعلى ، إلى مستوى منسوب البحر  
الأبيض ليم صرفه والتخلص منه ، إذ الماء الجوى فى الدنيا وشمالها أقل  
من منسوب البحر ولا بد من ضخه إلى أعلى ، ومن أجل هذا أقيمت  
الطلسميات . فى مكاننا عند الهدار لم أجدها . وانتظرت ، وتأملت  
كثيرا منظر الماء وهو يهدر فى الهدار ويدور ويصنع دوائر كبيرة تنهى



إلى دوائر أقل وأكثر انخفاضا وتدور بسرعة أشد إلى أن تصنع الدوائر  
حفرة على هيئة القمع يقولون إن قاعها يبلغ الرجل ولا يبين له بعد هذا  
أثر . ولم تحضر . وغير قريب من بيثهم وقت وقد بدأت أحس أن يد  
الكبار غليظة حقا وأنها قد عملت عملها وأن اليوم الواحد العذب  
الممتد الطويل قد انقطع .

وفي الشباك نحتها ، كما العصر ، والشمس قد استحال من  
جهنم الظهر المروعة إلى مجرد مصباح أصفر رقيق يضيء الشباك  
وداخل الغرفة ، وفي وسط تلك الأرض الصفراء الحية بصفورها  
يستدير وجه حنونة وقد أكتسبه الأشعة لونا غريبا يلمع من خلال  
القضبان الحديدية الداكنة ، لونا يحيل الوجه إلى شمس أخرى ، شمس  
مخوفة منكشة الجبهة ، مخيفة .

وقفت انتظر منها إشارة ، أو يريق عين حتى ، يدل على أنها رأتني  
أو أرادتني ، ولكنها كانت صامتة واجمة ، كالت بال ضبط صورة  
( العذرة ) العذرة مريم ، نفس الصورة المعلقة في غرفتها معلقة الآن  
في النافذة ، ولا بد أن ألقاها ، وأنا أعرف الست ( أم حنونة )  
وأعرف أنها وإن كان يقال إنها أشد الناس سلاطة ، إلا أنها معي  
طيبة ، تعطف وكأنما بالسليقة على مزاجتي لايتها ، كثيرا ما دسنت

في جيبي برفقاة ، أو حبات ( بون بون ) ودائما تقول سلم على  
الست ( أم محمد ) ، سلاما لا أوصله ، فقد كنت أعرف رأى أمي  
فيها ، ورأيتها في أمي .

الباب مفتوح ، آدفة ؟ دخلت .

أم حنونة خارجة لتوها من المطبخ وهباب الوايوور على وجهها  
وأطراف شعرها الأبيض وملايسها ، أشرق وجهها بابتسامه وكأنما  
أدركت سب الخبيء ، أعقبها في الحال تجعد ملاحم وكأنما ظهرت إلى  
وعبها المشكلة والتعذير ، وتلعشمت وفأفأت ، ولكنها لم تصرح  
بشيء ، وإنما استدارت وكأنما لم تر ولم تسمع ، وعادت إلى  
المطبخ .

وما يدريني ، فقد قرأت في حركتها تلك علامة الرضا .  
واندفعت إلى الغرفة كالسهم . ووجدت حنونة واقعة تبسم وتتنظر  
انتظارا منخفض الرأس لا يزال وفي عينيها دون أن أراها مكره يرى ،  
جميل كمكر المحبين .

ولدهشي أقدمت على حركة لم أكن قد تعودتها منها أبدا ، مدت  
يدها تصافحني ، وبكل ما لدى من لهوجة مددت يدي وشددت  
على يدها بقوة حتى بدا أنها تألمت . كنا دائما نلتقي أو نسير

أو متحررة أو بعدم على عمل شيء معها ، ثم أتت متصافح قد حدث مدم  
 بعمله ، لا حده مره ، يدها صغيرة كانت ، و يده رعه لعاص عارق  
 السن ، أكبر ، يد حيلة منهي بأصابع أيضا رعيه و حينه بعض على  
 مجموعة من أولاء الرصاص ، و نكن ، لم نكن قلام رصاص ، كانت  
 اليد بأصابعها حية دافقه كد ثمار كزيت لها كل إشعاعها الخاصة ،  
 نكن بدا كانت هب بأص دق ، نفس القلب لدى سمعت دفته حين  
 كنت أعود الأقترب ، و حوى من صد هب مصافحه ، و عسى  
 و أحدثت بي مساء

قلت لها :

— أنت كاعذرة مريم .

رفعت حاجبها إلى اسنك مدعور ، و لكنها عذرت نسيم كأي  
 عمت ما أفان ، و رعم هب — سسى  
 — كيف ؟

قلت لها :

— و أنا لست من عذرة كنت كاعذرة ، بل من المسيح يا حذرة ،  
 أنت حذرة .

و كم كان يحمي ، ثم أتت ثديها ، و كانت أصمغ عفتو لأسف

، نعمه في عسى أن يسبح ، أب العذرة حبيبي مسيحت وأنت  
عذرتي .

كاد ، بل صرختي على يدي فعلا ، كما دقت بهلي ولكن  
المكرة كات قد امتدت بعلي ، ولم تكن بس خطها لايدأها  
ست في ذلك اليوم ابدى كانه مبردين كالعاده في مريم ، كات  
تحقق في صورة لعذراء مريم وهي تختص بها يسبح حنان رائد  
كات أبول الصورة عديمة وناهية ، ومن رأس مريم كات عرج  
شعاعات تذهب في كل اتجاه ، وكان عسى طفلا حملا جدا بسبه  
سعادته لاب الميرك أنه في أحضان أمه ، وفي كف رعايتها وحبها ،  
و كات مريم أبنت تنسم ، شح ابتسامته يفر وجهها وشعها ،  
و كات برك أن صورة ما مؤخذ لها ، وتريد أن يضمن الصورة  
اسمائه أم سعيدة بابها حفا

وعلى القف أحداث حيرة أحسست على القف أن أريد أن أرتد  
صدلا ، أرتكني إلى حفس حونه وسعد لي مثل سعادة لعذراء مريم  
نسبحها ، ولكني ، في ذلك اليوم ، وأن أعقب بها أن يكم ،  
عذرائي ، أن كور مسح ، م أكني فعل ذلك وفي ذهني أن أتعول  
بن حفس صغر حبب أمه هات ، واء مؤن وحسني كات برفد

رغبة قوية قديمة عارمة ، أن حنص راحة أقدامي في حجر عبي ،  
وأطبق عينا ، على بطن وقوة ، وأنا أعرف أنها رقيقة هشة ، إلى  
بحال ورفق ورفقة أريد أن أضيق عينا ، أريد بيدي إذا أضيق  
وحصلي إذا حنصها أن أحبيب تمام ، وأضمرها وأدحها بطونفها  
في صدري فتت هي الوسيلة إلى حيدة في ربي لإسكات عبي  
بأحساس منصر برعبي في لأقرب مني ولأنتصاني دائما  
كأن أريد أن أقرب مني لأقرب لأكثر ، فترى أكثر أكثر

كما عبي مع سائر ونحن نعب عبي روح في عمار عبيته  
حدثت في حيرة حويلا كانت تبت في برد لها عذق على  
هد نحو تعريب أكثر ما كنت أشعر نفسي عن رثالي وأ  
رحمتها حوي ، فهي مع مشي في كس أحسن بدنت بشي ، حناص  
يدي سرور به العلاقات الحرة ، كس أحسن نفسي وكثاني في  
نظرها ست سوي هي في أربعة عشر ، بخود صبي آخر في عبي  
ذات أحسن عشر ربي . حقيقة ترخصها به علاقة ورفقة ويا رب  
ويعاق ، ولكن لا شيء ، ك من هد في عديتها هذه المرة  
أحسب ، وحده ، بدمعه في عبي تأخذ ديت الحديع يدي صبا  
هموت به ، طبع بأحساس رخصوصيه ، أحسب أنها بصره

موحیہ فی ثناء ، و ثناء ہوں ہا کلاما کتب حاصل ہوا ہے  
 نصیبی ، و لا یصلح عن سوی الضرۃ ، ہا ہر کلام لا یکن — تو  
 کان ہا یکن فی مصری ، ہا نقولہ عرب ، ہا ہا اب عرب ، کلام ہم  
 نمیت معہ : لا ہا اعراب ہا ، کثیر ہا کا اُحدن یصلی الاخر  
 ، حر ہا اب اب یطرد در عہ ، و یکن نمیت ہا ، مرۃ یقرب ہا ہا  
 ہدو ہا حہ ، ہا ہم کم ، گائہ ہا ہا ہا ہا ہا ، انصوہ  
 ہا ہدب ہا ہدب ، ہا ہا ، فحاشہ ، نصیبی حوۃ ہا ہا ہا ،  
 ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ، و یطبع علی حسی قنۃ سر ہا ،  
 لا ہا ہا ہا ہا ہا ، ہا ہا ہا ہا ، ہا ہا ہا ہا ،  
 و حہ ہا ک ہا ، ہا ، و حہ ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا  
 و حہ ہا ہا ، ہا ہا ہا ہا ، و ہا ہا ہا ہا ، ہا ہا ہا ہا  
 ہا ، ہا ہا ہا ، ہا ہا ہا ہا ، ہا ہا ہا ہا ہا ہا  
 لا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ، ہا ہا ہا ہا ہا ہا  
 ہا ہا ، ہا ہا ہا ، ہا ہا ہا ہا ہا ہا ، ہا ہا ہا ہا  
 ہا ک ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ، ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا  
 ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا  
 ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا ہا

الذى يمر جس النساء والذى يجمعهن برتدس تحت لأشوب  
والأثواب وينصحن بالصور وبصلص بالعرابش والخواتم  
والعقود ، مما من ذلك الذى يرر الصور ويجعل الحلد في عومة  
الحزير وللصور دنت السع الرقيق في معال صوت الرجل الحش  
كحسده الشوكى كدقه ، الساكن كوجهه وشعر صدره ، حوبة  
إذن أشى اضطر في كال سبه في نداه أنصور هذا قلا وأحبه  
به حوبة في مصرى كانت كاحده كإلهة ، كائسة لعصى في  
كل حجة سعادة يجعل بها يكون اخرء من حرء من أشبه عاودى  
الشعور وأن لا أرا أنسحب لأحسب بى بى شى حوها  
ونصمها ، أحس أى أصم عذرية الكون الأريه ، عاودى الشعور  
ولم ير بى سقط في قاع عمى ولم يرحه وصل كالأمالى العفيفه  
حكمة تقديس العرف والعمور والتعايد أمة أن تقرب لدنس  
انصبرى في الدات الأعظم ، أن تحب الله إلى النساء ، أن يتم الانصا  
لخايد يبت وبين امر الكون لأعظم

وحتى لو كنت قد سمعت أن تصور حوبة شى روى بره من  
المكوت بى لأرض حسما من لحم وعظم فقد كان من يحى أن قرب  
هذا تصور بى ، من يحى أن أنصور علاقه في تقوم مع حوبة

الأشئ حتى لا أفعل معي مشيئة أفعل مع صائر البسات حاولت  
كأنهم أعيد القداسة إلى مكانها ، أستعيد إحساسي أنها الأعظم ،  
وأن ما يشعني الكون من جمال ورشاقة وتفوق يجعلها فوق مستوى  
البشر ، يرفعها للسماء . حاولت حاولت أن أعيد الشعور لبحول بين  
الشباب الصغير الذي اسفص داحي فحاة مستحبة مداء الأشئ الذي  
تولدت عنه حمومة فحاة أيضا ، وكفى كنت أحاول المسحيل ،  
هكذا من اسباب الدنيا من انجان أن تباعد بين القوتين لأعظم لحبه إذا  
وحدها ، الرجل والمرأة ، إذا نشهما هو يمايون الشيطان الذي لا  
يمكن عصباه وقبها أن ، مرتعا ، مضطربا مثلها ، وقد قد  
استحمت ما في من رجولة بكر ، ولكن حتى ما يكون ، أرضية  
تكون أو سماوية ، فديته أو مائة عادية فأنا محبوب وأنا محب واليادي  
كانت هي وعلى أنا أن أعم مستحبا عويذ في ذلك البحر المالح  
العريب الذي تفتح و فحاة من بين شعنها يا لقلب يدق وقد رقدت  
على الكفة وذي فوق قلبها ، دفا كويا يكاد يرلزل الأرض والسماء  
هقد كان يرلزي . لو جهها أحده لأرض مره وكل ما فيها من  
حمد ، والسماء مره وكل ما فيها من قداسة ، غنوية برايه ، حمد  
ومصر يكتس وتكموها اسامة بعد ، ، ثوح كسبح البحر



نزهت اندی بجز ، دون آن بطنی ، دون کینه داری حسنها  
 و بکنه ، عدواء کاتب و عدوی کتب ، و کلایا لا یعرف ، و یوید  
 آن یعرف و هو یحاور آن یعرف ، و اعمامت بنی کات حجت  
 عموما عن آن تری ، و آن تری اول عاری نعسا ، سراج و احسنی  
 سب جمی لغویة و بکها جمی اشعار عیون و لاسحار و المیعة  
 و لا کشف ، جمی اسرار انکونی ادا ، اخیرا بکشف ، حماک و انت  
 و قف برف لبه لقدر ادا ، صبح باب السماء امانت حقا ، کشف  
 من جلالة سر السماء ، او در اشقت امانت انراة فحافة عن مکوه  
 لا عصه انت ، و انت و حداد

کما ند کرت آن کتب و حاولت حبهات و نسی احسنی عنی  
 و شدت بقیام بحضیه ترلرل لأرض و السماء کالو کنت علی و شدت  
 از نکات الایتم الأعصه ، أعصه اثم یر تکه بشر ، کنت کلمه بصورت  
 هدا و احسنیت خرمی السبق بطعی نسیمها و عیصرها و آلو کها ،  
 حبة دافنة ، مخرج بطنی فیه و لی خرمی سها و فی فداسها و فی لایم  
 لأعصه و بشریها ، و لرم من بطریق اندی بقصی تعدها ، کتب  
 أعبدها ، و هاندان العباد لها و عنی خو محان آن تصروف اینه شد  
 لا حلام عکرت و بعدا عن مصدق

وَمَدَّ أَيْمَانَهُمْ قَوْلًا لِّمَعْدَمَةٍ فِي كَافٍ مِنْهَا وَمَضَى صَوْبَهَا  
وَحَتَّى بَشَارَاتٍ بِهَا كَافٍ إِشْعَاعَاتٍ ذُئبِي فِيهَا ، إِشْعَاعَاتٍ أَمْرًا  
مَقْدَمَةً وَمُشْرِفَةً ، إِشْعَاعَاتٍ سَوَّعَ وَالْأَيُّوَّةَ كُلِّهَا مَرَكْرَةً كَهْوَةً  
الْعَدَمَةَ لِحَوْبَةٍ ، حَمَاهَا ، مَحْبَبَةٍ ، حَمَاهَا ، نَظَرِيٍّ ، عِبَادِيٍّ  
فِيهَا ، كَلْبِيَّ أَيْوَّةَ وَشِيٍّ ، وَلَقَدْ مَرَّتْ سَوَّعَ وَسَوَّعَ ، وَغَرَّتْ سَاءَ  
وَسَاءَ ، وَكَلْبِيٍّ ، لَأَسْهَأَ كَافٍ هِيَ الْأَشْيَاءُ فِي دَيْتٍ لِيَوْمٍ ، شَعْرٍ ، مَدَّ  
يَوْمَهَا ، أُنَى نَزَحِيٍّ ، رِيٍّ لَأَسْهَأَ

وَكَلْبِيٍّ سَاءَ فِي عِدَارٍ مَدَّوْءٍ شَدِيدٍ نَظَرِيٍّ حَرَكَةٍ ، وَصَحْبٍ  
حَمْرَةٍ ، وَأَبٍ إِلَى سَكُونٍ ،

وَكَلْبِيٍّ مَحْرُودِيٍّ شَقِيٍّ مِنْ بَيْنِ شَعْبِيٍّ نَظَرِيٍّ لَدَبٍ ، عَرِصَةٍ ،  
أَبٍ سَطَحَةٍ إِلَى زَجَاجٍ ،

وَكَلْبِيٍّ حَوْبٍ لَأَعْدَى ، وَهِيَ حَافِيٍّ وَكَلْبِيٍّ يَسْتَدِمَّةً ،  
وَأَمَّا حَمْلَانِ ، حَبْرٍ لَمَعَ شَعَاعٍ عَمِدَ أَسَابِ عَلَى حَوْبٍ بَعْدَةٍ ، شَعَاعٍ  
نَزَحِيٍّ لِحَوْبٍ كَلْبِيٍّ وَهُوَ عِدَارٍ عَنِ زَجَاجٍ نَظَرِيٍّ مَعْوَصٍ نَظَرِيٍّ نَوَّ  
لَبَّاشٍ سَطَحِيٍّ نَظَرِيٍّ ، نَظَرِيٍّ مَرِيعٍ مَنِ الْعَدَى مَحْبَبِيٍّ دَتَمًا ، وَشِيٍّ  
لَدَبٍ عَدَى كَلْبِيٍّ رَوِيٍّ مَسْهَبٍ ، وَشِيٍّ أَيْ مَدَّعٍ مِنْ مَدَّعَاتٍ نَظَرِيٍّ ،  
نَظَرِيٍّ بَيْضٍ ، مِنْ بَعْدَةٍ ، لَأَسْهَأَ لَا أَعْرِفُ

كنت حلالا ولكني كنت كاثوليكيا الذي ليس له لأولى في حياة  
 إيمانه يتصل الاتصال يبقى الذي نخافه ، وثمة المعجزة ، ويتحول  
 عنده الإيمان إلى رسالة ويقرر مستعد أن يفقد حياته نفسها ولكن  
 بساطة في سبيلها ، وهكذا حين استجبت دعوة من المعجزة هاربة  
 كالعصاة ، ودق على الصبي دعه قلب الصبي يصعد ، أوفيت دعه  
 بعبادته من اليهود من المعتلى إيمان ، ليس بما فعله منذ خطوات  
 بالذات ، ويترك دعوة ، وكل ما يتصل دعوة ، وعلى رأسه أن تستمر  
 علاقته بها ، قامت ليد أو فعدت ، صر به معروض أهدى أو تشاجر  
 مع أبيه ، ردت أمها لأمي أو حقتي لأم ، سحب أبي بدفته  
 عديمة من دولها وأطلق النار على عذبة معروض كنها أو على نا  
 مهوردا ، ويحدث ، وإنما كما يصعب العابد لأنهم ، كما يتصل لشعاع  
 بأمة الشمس ، كما لا يمكن أن تحو الحو من قبل فصلتي دعوة  
 أكثر من كل هذه احتميات ، ماقية استنقى ، بل أن أموت أو يموت  
 معا ، ورتا حتى بعد الموت سقى

ولكن يبدو أن رعه هذا لإحساس لدخل مروع ، كان وحشي  
 من الجراح ، وإنما مشهود معروض أهدى استنصب طوبلا ورعيا ،  
 بحضف ، ويسحب كل ما ل جسدي من دم ويسيل معرف أرضي

الحجرة . بقيت واقفا جامدا العينين مخفضهما أنظر العقاب . كنت رغم هذا أدرك أنه جاء بعد النهاية ، وأنه لا يمكن أن يحسن حقيقة ما حدث ، ولكنني بإصرار كنت أنظر العقاب . ولبته عاقبي ، لبته ضربي أو سبني ، لبته حتى اشتكى لأبي وليت أبي قطني ، فكل ما فعله أنه بعد سكوت طويل قال :

... أنا كنت فأكرك جدع يا محمد .

كلمة من الكلمات التي تلتصق بالذهن مدى العمر لا تمحي . كثيرا ما نرد إلى أذنيك ، ونجدها فجأة قد انبثقت من غياهب الماضي واستحضرت نفسها ، حتى على شفقتك تنطق نفسها فتردها ، وتشملك رعدة تحجل من نفسك وكأنما الرعدة الأولى التي أصابتك حين سمعتها أول مرة ، وكلما تذكرتها ، تذكرتها كاملة . نفس النعمة والطريقة التي قبلت بها ، ولا أدري بالضبط إن كانت قد مرت شهورا أو أعوام على ما حدث إذ كل ما تلا ذلك كانت أهاما مملعة كثيرة ممتدة الطول لا نهاية لها وبلا هدف . آلاف المرات ألف حول البيت على أنحها . كنت أعرف أن القضاء قد حل وأن الأمر اليات الصريح قد صدر لها من أمها وأبيها معا ، أن لا تراني ، أن أموت نائما من وجودي . وكنت في مرات ، مرات قليلة جدا ، مرة كل ألف مرة ،

أراها ، أراها من بعيد وأنتطلع إليها مكتفيا بنظرة البعد وكأنني الإنسى  
يتطلع إلى نجوم السماء ، ويحز الهوى القدسي في نفسي أحيانا حتى  
ليدفعني دفعا أن أقرب ، وأظل أقرب حتى لأصبح على مرمى البصر  
منها ، وأنادىها ، يهسى نغفى مرة ، بصوت عال مرة ، وأشهر لها ،  
بيد ترتعش ، بيد أحيانا مهووسة مبتورة ، بذراع تفترج مع الجسد في  
الهواء وكأنها تريد أن تمسك بخط البصر الكامن بين عينيها المستقيمتين  
وبين الأفق . ولكنها لم يحدث أبدا أن رمش لها حتى الإدراك ، إدراك  
وجودي ، واقفة أبدا في قلب مربع الناقدة الأصفر الذي تقطع  
صفرتة عمداً الحديد ، عارفة بوجودي ، هكذا أحس وأكاد أقسم  
والكني أعرف أنها لا تدركه أو تأتي إدراكه ، لا بد أنها قطعت على  
نفسها عهداً أمام أبيها ، وعهود حثونة ، كحثة ، مقدسة ،  
ومحال أن تخنت بالعهد المقدس . أذوب وحدا وأنا أذكر ، أذكرها  
من لحظة عرفتني إلى لحظة المعرفة الأعظم ، أذكر كل حركة صدرت  
عنها ، كل كلمة عرفتني ، كل كلمة ، كل نظرة ذات معنى ارتسمت ذات  
مرة على ملامحها ، أذكرها وأذوب وحدا وشوقا وأحس  
نفسى ندما . أكان لابد أن أصل إلى المعنى الأعظم . ألم يكن  
القرب مجرد القرب ، أهون ألف مرة من الثلاثي التام إلى حد

القطيعة . كنت كالبعطل في قصة ألف ليلة وليلة الذي تركوه في  
القصر ذي الأبواب السبعة وأمروه ألا يفتح الباب السابع للحجرة  
السابعة ، وعاش في القصر بنعم ويستمتع ، ولكنه لم يستطع أن  
يقاوم المنعة الأكبر ، أن يفتح الباب السابع ، وفتحه ، ورأى ما لم تره  
عين و لم يخطر على قلب بشر ولكنه في النهاية وجد نفسه هناك خارج  
القصر في النقطة السحرية التي فتح له باب القصر منها ، كأنما عادياً  
قد عاد إلى الدنيا العادية ، ووجد هناك ستة يرتدون السواد ويجلسون  
في بكاء متصل ، إمام أولئك الذين سيقوه إلى الندم ، وانضم مالك  
الحزين بملابسه السود ليصبح سابعهم ، أكان لابد من الباب السابع  
والمنعة الأعظم ؟ كمالك الحزين أبكى ، وبالندم أحيد ، والمالم  
كئيب ، والأيام من فرط طولها عجزت رمادية شائخة ، والليالي بلا  
متصف أو فجر أو مساء ، والعمر بلا زمن ، إلى أن جاء الحريف ،  
وسرت الإشاعة ، ولا أصدق أنا ، وتحديد اليوم ، والشخص ،  
وحلت الليلة ، وانتشرت الكويبات في المستعمرة ، وتركرت في المربع  
الأوسط الواسع ، الأضواء تكسر الظلام باهرة ، والشموع كثيرة لا  
حصر لها ، حتى رائحة الشموع نفسها كانت على البعد لشم ، وابن  
عمها جاء من الصعيد ليتزوجها ، وهم يزفونها إليه ، ونفس القسيس

الذي يزورهم بين الحين والحين قد حضر من كنيسة البندر ، والكل  
يغنى ويردد وراء القسيس : كير .. يا .. ليسون .. ارحم يارب ..  
يارب ارحم .. وحلوة في ثيابها البيضاء الناصعة ، وعقد الفل .  
والطرحه ، وقد حملوا وجهها بأكثر مما يحتمل من ألوان وأصباغ  
ولكن بقيت لها نظرة العينين غير مصبوغه ، وإنما هي زائفة مروعة  
تائهة ، تتحرك مدفوعة بالأيدى الكثيرة التي تتجاذبها ، تتحرك  
كالشجرة مغناطيسيا كمن تؤدي دورا ، وثمة ابتسامة شاحبة خائفة لا  
تغادر وجهها ، وإلى جوارها أفندي ربما لم نره في حياتها إلا الليلة ،  
ضخم الخفة ، أسود القارب كثيفه ، يرئدى ( بالطور ) أسود  
وشعره لامع شديد اللمعة بما فيه من بريانتين ، العريس مستطع  
الأوداج وكأنه لنوه قد ربح صفقة ، بمضغ ويتملظ ويضحك من  
أعماق صدره وأحيانا دون أن يريد ، وحلوة إلى جواره كالحمامة  
المسوقة الوديعه تتجاذبها الأيدى وتدفقها ، وتبسم في شحوب  
وعيناها هائمتان تبحثان عن شيء بين نجوم السماء وكأنها العذرة فقد  
منها مسيحها ، والعذراء راضخة ، صابرة ، وحيدة ، تفتش السماء  
بعينها بحثا عن الخلاص ، من يلزمي ربما كانت تفتش عني وأنا قابع  
خوف السطح أنا ، وأندم وأرتب ، والكل يردد: كير باليسون .. كير باليسون ..